Racha MAZOUZI¹

**THE HISTORY OF MEDECIN IN THE MEDIEVAL AND MODERN
ERA, AND IT'S ROLE IN THE STUDY OF HISTORY OF ISLAMIC
CIVILIZATION**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.7-3.14>

Research Article

Received:

31/05/2021

Accepted:

03/07/2021

Published:

01/09/2021

This article has been
scanned by iThenticate
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

Islamic civilization had a prominent role, whether in the Islamic world, or its clear impact on the life of Europe, which was suffering from backwardness and ignorance. The Islamic civilization awakened it from its slumber and deep backwardness, through its scientific achievements, and perhaps one of the most important roles was in the field of medical sciences, where Muslims took great care of the medicine industry at the beginning, from the search for the origin of the disease to treatment methods, and the establishment of institutions especially for its meridian and education, and the importance of this research lies in the definition of Arab-Islamic medicine, and its impact on Europe, especially that Westerners have claim the science has not developed for Muslims throughout the ages, and also aim through this research to track the development of medicine and the cultural and social movement in Islamic civilization in the Middle Ages and modernity.

Key words: Islamic Medecine, Hospitals, Islamic Civilization, Muslim Doctors.

¹ Researcher, Yahya Faris University, Algeria, chichracha@yahoo.com, <https://orcid.org/0000-0001-5222-5381>

تأريخ الطب في العصور الوسطى والحديثة، ودوره في دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية

معزوي رشا²

الملخص

لقد كان للحضارة الإسلامية دورا بارز سواء في العالم الإسلامي، أو أثرها في حياة أوروبا، التي كانت تعاني من التخلف والجهل، لتقوم الحضارة بإيقاظها من سباتها وتخليقها العميق، وذلك من خلال إنجازاتها العلمية، ولعل أهم نتائج العلمي الإسلامي، كان في مجال العلوم الطبية، حيث اعتنى المسلمون عناية فائقة بصناعة الطب، بداية من البحث عن أصل المرض إلى طرق علاجية، وإنشاء المؤسسات خاصة لمزاولة وتعليمه، وتكمن أهمية بحثنا هذا في تعريف بالطب العربي الإسلامي، وأثره على أوروبا، خاصة أن الغربيين قاموا إدعاء، أن العلم لم يتطور عند المسلمين على مر العصور، كما أننا نهدف من خلال هذا البحث، إلى تتبع تطور الطب والحركة الثقافية والاجتماعية في الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى والحديثة.

الكلمات المفتاحية: الطب الإسلامي، المستشفيات، الحضارة الإسلامية، الأطباء المسلمين.

المقدمة:

كافح الإنسان منذ أن خلق في سبيل الحفاظ على حياته وصحته، فحاول اجتنب كل ما يؤذيها، وبحث عن كل ما يديمها، فحاول أن يعالج نفسه بكل ما وصلت إليه يده، من مواد نباتية وحيوانية، أو معدنية، وأمن بقدرة السحر والشعوذة والخرافات في علاجه، ومر زمن طويل في اعتقاده هذا، حتى ظهر إسلام وأبطلها، وأظهر أن لكل مرض دواء، وحث على تعلم الطب وممارسته على صحة الإنسان، وأصبحت العلوم الطبية ذات صلة وثيقة بالحياة البشرية، من أهم العلوم الذي أبدى المسلمون عناية كبيرة بها لحفظ الروح والجسد، وكانت من أهم إنجازات العلمية للحضارة الإسلامية، التي أثرت في أوروبا، وأيقظتها بعد أن عاشت قرونا في جهل وتخلف، وأرشدتها إلى طريق العلم، لتتحرر أوروبا فيما بعد فضل الحضارة الإسلامية في تطوير العلوم في العالم، وتدعي ادعاء لا صحة له، أن العلم لم يتطور عند المسلمين على مر العصور، ومن هنا كيف تطورت العلوم الطبية في حضارة الإسلامية، ومن ساهم في تطويرها ؟ ومن هم أهم أطباء المسلمين ؟ وما هي أبرز اكتشافاتهم ؟ وهل اعتنى الخلفاء في العصور الوسطى، والسلطان العثمانيين في عصر الحديث بالطب ؟ حيث تكمن أهمية بحثنا، هذا تاريخ الطب في عصور الوسطى والحديثة، في التعرف على طب الإسلامي صناعته و ممارسته وأدابه، وأثره على العالم الغربي، ونهدف من خلاله إلى تتبع مسار تطور العلوم الطبية والحركة الثقافية والحالة الاجتماعية في البلاد الإسلامية في مختلف العصور الوسطى والحديثة.

وقبلولوج في التعرف عن الطب الإسلامي، نتعرف عن حال الطب بداية ظهور الإسلام، وموقف الإسلام منه. في بدء ظهور الإسلام كان معظم القبائل العربية مثل بقية القبائل البدوية لا تهتم بالعلوم والفنون وكان جل اهتمامهم منصبا على التوسع في اللغة العربية، وأحكام الشريعة الإسلامية، ولأن إنسان يمرض كان لابد أن يبحث عن طريقة للعلاج وتسكين الألم، لهذا ظهر الطب أو التدوي، الذي شاع بين القبائل العربية، في بداية ظهور الإسلام، إذ كان عبارة عن بعض المعالجات التجريبية، المقرونة بأعمال السحر والخرافات، كالتأثير النجوم والكواكب، والأجرام في الإنسان وغيرها من الخرافات. (الهواري، 2005، ص.30)

وكان لإسلام موقف من الطب، إذ أتى بنظرية علمية واقعية عن مفهوم المرض، واعترف بالطب والأطباء والدواء ونفى الخرافات ووضع حد بين الطب والكهانة، وأعلن أن لكل مرض في هذه الدنيا علاج يشفيه، إلا واحد وهو كبر السن. اعتنى العرب بالعلوم الطبية، حيث قال الأندلسي 1912 " كانت العرب في صدر الإسلام لا تعني بشيء من العلم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعته، حاشا صناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب، غير منكورة عند جماهير

²الباحثة، جامعة دكتور يحيى فارس، الجزائر، chichracha@yahoo.com

لحادة الناس طرا إليها، ولما كان عندهم من الأثر عن النبي صلعمهم في الحث عليها حيث يقول: يا عباد الله تداووا فان الله عزوجل، لم يضع داء إلا ووضعه له دواء إلا الهرم". (ص.47)

مصادر الطب الإسلامي في العصور الوسطى:

لقد كان عند الأمم القديمة كالصينيين والسكان ما بين النهرين، ومصر وإيران والفينيقيين، طب مدروس ومدون، وكان الطب لديهم مهنة خاصة لها ناحيتين العلمية والعملية، إلا أن مصدر الطب الإسلامي، هو الطب اليوناني الذي بنى أساسه طبيين، أولا بقراط 460-388 ق.م يوناني أعظم أطباء الأمم القديمة علما وعملا، وكانت أقواله وآراءه المرجع الوحيد للطب حتى النهضة الأوروبية. (الهواري، 2005، ص.32)

ترك ابوقراط للعالم مجموعة طبية تعتبر أقدم تراث طب، وأثمن مجموعة، وهي الأبقراطية وفيها بحوث عن جميع النواحي النظرية والعملية في الطب، وتعد أهم مصادر الطب الإسلامي، عرفت مؤلفات أبقراط من خلال نشرها من قبل اميل لتيريه 1801-1881م في عشر مجلدات، تحت عنوان مجموعة مؤلفات ابوقراط، وإذ ذكران هذه المؤلفات بلغت اثنين وسبعين مؤلفا ونشر منها الأكثر شهرة. (المربع، 2012، ص.10)

والطبيب الثاني جالينوس 129-162م اليوناني، كان عالما ومحبا للفلسفة وطبيب، ويعد بالصفة خاصة أستاذ علم التشريح غير منازع مدى أربعة عشر قرن، كان قام بتأليف مؤلفات مهمة في علم الطب، أصبحت كذلك من أهم مصادر الطب الإسلامي، وكان جميع أطباء القرون الوسطى ومن ضمنهم الأطباء المسلمون يدرسون التشريح عن طريق مؤلفاته. حمل النسطوريين أتباع نسطور، الذي كان بطريرا للقسطنطينية سنة 428م العلوم الطبية إلى العراق، وذلك بعد خروج نسطور من الكنيسة المسيحية لمخالفته لبعض عقائدها ونفي مع أتباعه إلى أنطاكية ثم معان ثم مصر، وهناك توفي 450، وتفرق أتباعه في بلاد ورحل بعضهم إقليم الجزيرة، وأسس مدرستين إحداها في الرها، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، و مارسوا فيها الطب وتدرسه فما بين النهرين، وفي أواخر القرن الخامس للميلاد لما اضطهدهم المسيحيون الأرثوذكس هاجروا إلى فارس، وهناك انشئوا مدرسة جنديسابور في مدينة بخوزستان، في الجهة الغربية الجنوبية من إيران، وهي مدينة قد افتتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت مدرسة جندي سابور تدرس الطب وسائر العلوم، والمدرسين فيها النسطوريين الذين حملوا إليها مؤلفات اليونان الطبية، وترجموا الكثير منها إلى اللغة السريانية، وكانت العرب تعرف المدرسة وقد درس فيها طبيهم الحارث بن كدة، ولما استولى المسلمون على فارس كانت مدرسة جنديسابور موضع اهتمامهم، ولما ولي الخلافة بنو العباس كان أول من اتجه إلى رعاية المدرسة الخليفة ابوجعفر المنصور سنة 148هـ، إذا استقدم طبيب منها خلال مرضه، وبعده هارون الرشيد 181هـ بعد مرضه وشفى على يد طبيب جنديسابور، وكرم وقدر الخلفاء العباسيين الأطباء، واجتمع العلماء بالخلفاء ووزرائهم في بغداد وشرعوا في تأسيس المدارس الطبية والبيمارستانات في مدينة السلام. (الوزي والشابندر، 1939، ص.16)

ترجمة الكتب الطبية:

كانت الترجمة إحدى البدايات الحقيقية لمعرفة المسلمين علوم الأوائل، إذ بدء نقل الكتب العلمية إلى اللغة العربية بعد استقرار الحكم الإسلامي، وكان أكثر المترجمين من أمم غير العربية، وأحيان من غير المسلمين كالسريان والعبريين والنصارى واليهود، وكان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أول أمير بني أمية اهتم بعلوم اليونان اهتماما خاصا، فقد جمع حكماء اليونان المقيمين في مصر، وطلب إليهم أن يعربوا المؤلفات اليونانية منها كتب الطب والكيمياء. (الهواري، 2005، ص.39)

رغم انه مع بدايات الدولة الأموية، بدا الطب العربي يتعرف على المؤلفات الإغريقية، إلا أن حركة الترجمة لم تقو وتزدهر إلا في عهد الدولة العباسية، ذلك أن علوم الأوائل، كانت مهجورة في عصر الأمويين، وما زاد من حركة الترجمة في العصر العباسي، هو اهتمام الخلفاء العباسيين بالعلوم وفي هذا العصر عرفت النهضة العلمية، وكان أول من اهتم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور، حيث طلب من إمبراطور بزنطة أن يرسل إليه ما عنده من مخطوطات وكتب يونانية فأرسلها إليه، كما كان المأمون يطلب من أمراء البلاد المفتوحة كتب بدلا من الغرامة المفروضة عليهم، و عندما انتصر المأمون على الروم علم 615هـ، علم أن اليونان في بلادهم قد جمعوا كتب الفلسفة من المكتبات، فطلب المأمون من ملك الروم أن يعطيه هذه الكتب بدلا من الغرامة، ويظهر اهتمام الخلفاء العباسيين بالترجمة علوم الأوائل، أن الرشيد والد المأمون، انشأ دار الحكمة وعين عالما مسيحيا كبيرا مسؤولا عن الترجمة هو ماسويه والد يوحنا بن ماسويه. (ابن أبي أصيبعة، 1996، ص.36-38)

عينه المأمون رئيسا لدار الحكمة، وهو يوحنا بن ماسويه توفي 243هـ-857م طبيب سرياني الأصل، عربي المنشأ، ولد في جنديسابور، ودرس الطب في بيمارستاناتها، تولى تطبيق الرشيد والمأمون والمتوكل، ومؤلفاته "البرهان" و "خواص الأغذية" " معرفة العين وطبقاتها" و "جامع الطب" و "النوادر الطبية". (الضلي، 2020، ص.24)

وازدھر في عهد المأمون بيت الحكمة، وأصبح أهم وأعظم معهد ثقافي، وقد أضفى الخلفاء على المترجمين أعظم أنواع التشريف، حيث شارك في ترجمة الموروث العلمي القديم عدد هائل من المترجمين عمل الكثير منهم في البلاط العباسي،

وبكيفية خاصة في بيت الحكمة، ويأتي على رأس قائمة المترجمين في هذا العصر من حيث الأهمية، حنين بن إسحاق العبادي المتوفى سنة 260هـ-873م، ولد بالحيرة، ثم انتقل إلى بغداد، حيث اشتغل بالطب والترجمة، كان يترجم من اليونانية إلى العربية، أو إلى السريانية ومنها العربية، وله تدين المكتبة العربية بجل المؤلفات الطبية والفلسفية، وترجم جميع المؤلفات الطبية المعروفة في عصره تقريباً منها خمسة وتسعون مؤلفاً من مؤلفات جالينوس، نقلها إلى السريانية ونقل منها إلى العربية أربعاً وثلاثين بواسطة وتلاميذه مثل عيسى بن يحيى وحبش، وكان يراجعها بنفسه ويصححها، إذ كان يشتغل في دار الترجمة التي يرأسها حنين أكثر من تسعين مترجماً، ومن مؤلفاته كتاب "المسائل" هو مدخل لعلم الطب و"كتاب في العين" و"كتاب في الأدوية المفردة" و"كتاب العشر مقالات في العين". (العقاد، 2005، ص. 21)

، كان المأمون يعطي حنين ابن إسحاق العبادي وزن الكتب التي يقوم بترجمته إلى العربية ذهباً، وكان هذا ليغري المترجمين بالتسرع في الترجمة. (ابن أبي أصيبعة، 1996، ص. 41).

المؤلفات الطبية الإسلامية في عصر النهضة الإسلامية:

ومن هنا ترجمت كتب علمية على درجة كبيرة، لاسيما في زمن الخليفة المأمون، علوم الأوائل ابقراط وجالينوس، وبعد أن تعرف المسلمون عن طريق هذه التراجم على مصادر الطب الأصلية، وبعد أن عم البحث العلمي وأنشئت البيمارستانات، نجد في العصور التالية أي في عصور النهضة العلمية الإسلامية، علماء كبار تجاوزوا مرحلة الترجمة فكان لهم استقلال في الرأي، والنظر من خلال تجاربهم العلمية الشخصية، وحتى أنهم نقدوا بعض نظريات بقراط و جالينوس وأبدعوا وألفوا العديد من الكتب في الطب الإسلامي، ومن بينهم:

-الرازي 251-313هـ/865-925م: هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، يعد أعظم الأطباء الإسلام وأكثرهم ابتكار، ومن أشهر فلاسفتهم، ولد في الري جنوب طهران حالياً، وانتقل إلى بغداد، فدرس الموسيقى والطب والفلسفة فيها كما تولى دراسة البيمارستان الري، ثم رئاسة الأطباء في بيمارستان العضدي في بغداد، و بالنسبة لمؤلفاته كتابه الحاوي، فيه قسمين، القسم الأول في الأقرباذين، والقسم الثاني الملاحظات السريرية، وذكر أن له 33 ملاحظة سريرية ووصف لحالة كل مريض على حدة، وجمع كتابه آراء الأطباء القدماء وملاحظاته وتجاربه، وكانت له موسوعة توفي قبل استكمالها جمع تلاميذه فيما بعد، يبين رأيه في طرق العلاج القديمة، إما موافقاً أو ناقداً أو مقبداً طرق جديدة للعلاج، طبع كتابه في عشرة أبواب، وإن سائر أجزاء العشرة لكتابه الحاوي تتناول عضواً أو أكثر من أعضاء الجسم، ويتحدث عن طبه كالطب الرأس، والأذن، والعين والأنف، والأسنان، وله مؤلفات أخرى في طب متنوعة، مثل كتاب الجدري والحصبة، وهو كتاب في علم الأوبئة، وكتابه المنصوري، يقع في عشرة أجزاء، يتناول من خلاله موضوعات طبية متنوعة، كالجراحة وأمراض العيون، وأمراض البطن، وكتاب آخر بعنوان، فيمن لا يحضره الطبيب، وهو كتاب أطلق عليه لقب طب الفقراء، حيث يصف بطريقة بسيطة طرق العلاج بالأغذية الرخيصة، كما له كتب أخرى في التغذية والكيمياء. (النجار، 1994، ص. 115)

-علي بن عباس المجوسي الأهوازي توفي 384هـ-994م، طبيب عربي من جنوب بلاد الفرس بالقرب من جنديسابور، صاحب الكتاب الملكي الذي ألفه، لعرض الدولة البويهية 372، لذا سماه كناهش الملكي، واستند فيه إلى الملاحظات السريرية في المستشفيات، فاشتمل الكتاب على الطب النظري وعلى الطب العلمي، ونقد من خلاله الطب الإغريقي، طب ابقراط وجالينوس، وايبديسيوس، وكان أول من تكلم عن علاج الورم أم الدم بالجراحة، وكان أول من أشار إلى صعوبة شفاء مريض السل بسبب الحركة الدائمة للرئة. (الضلي، 2020، ص. 26)

-ابن سينا 370-428هـ/980-1037م: هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس، ورئيس الأطباء، ولد بالقرب من بخاري، برع في الطب حتى صار مرجع الأطباء، ومقصدهم من كل مكان، ألف أكثر من 275 كتاباً ورسالة ومقالة في الطب والفقه والفلسفة، منها النجاة، والشفاء، والإشارات والتنبيهات وغيرها، ويعد كتابه "القانون في الطب" من أشهر كتبه الطبية، وظل العمدة المرجع في تعليم فن الطب حتى أواسط القرن السابع عشر في جامعات أوروبا، له مزايا التحري والاستقصاء والتنسيق فاشتمل على تراث أُم الحضارة في أصول الطب وفروعه، مع شرح الأعراض الوصف العلاج، والأدوية والجراحات، وكان منهجه في كتاب القانون يبدأ بتشريح الأعضاء و معرفة وظائف الأعضاء ثم طبائع الأمراض وبعد ذلك العلاج. (النجار، 1994، ص. 142)

-ابن النفيس (607-687هـ/1210-1288م) هو علاء الدين الو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي، درس الطب في البيمارستان النوري الكبير في دمشق، ثم انتقل إلى مصر، وعاش في القاهرة في البيمارستان المنصوري، إلى أن أصبح رئيساً للأطباء مصر والشام، له مؤلفات كثيرة في الطب، أشهرها الموجز في الطب، و الشامل في الطب، و المذهب في الكحل والمجرب، وشرح تشريح القانون. (الضلي، 2020، ص. 30)

يقدم ابن النفيس في كتاب تشريح القانون، كتب جالينوس عن صور الأعضاء الباطن، وينتقد الأغلاط، ويقول النجار 1994 في هذا الصدد " استخدم ابن النفيس أسلوب التقية فيزعم انه لم يباشر التشريح لوازع الشريعة والرحمة، ولكن كتاباته في التشريح تؤكد انه باشر التشريح فعلاً، ذلك أن حديثه عن تشريح العظام الأريطة والقلب لا يكون غير ممارسة فعلية للتشريح ". (ص. 152)

مع انه أساس معرفهم مقتبس ومأخوذ من علوم اليونان، ومع أنهم معروفون بفضل بقراط وجالينوس، اللذين يذكرون اسميهما بكل تجله واحترام، إلا أن النظر والرأي والنقد ظاهرين بصورة جلية في مؤلفاتهم، ومنهم من حول النقد للمترجمين أو ناسخين للكتب ومثال عن ذلك ابن النفيس، حيث قال في ديباجة الكتاب، أنه في أشياء يسيرة ظننا أنها من أغلاط النساخ، وذلك لإثارة الشك في أمانة النساخ لا في علم جالينوس .

اسهامات الأطباء العرب المسلمين واكتشافاتهم:

شهدت العلوم الطبية الإسلامية تطور كبيراً في العصر النهضة الإسلامية، ولم يبني الطب في هذه الفترة على معتقدات الطبية القديمة، ولا شك انه ارتكز بداية على علوم الأوائل اليونانية، الا انه بفضل الأطباء العرب المسلمين وبراعتهم، تم اكتشاف بالدقة جسم الإنسان داخليا وخارجيا، واصل المرض ومسبباته وصول إلى علاج، وذلك من خلال تجاربهم وملاحظاتهم وبحوثهم العلمي ونقدتهم للعلوم الطبية السابقة، وهي اكتشافات لم تصل إليها أوروبا إلى بعد قرون ونذكر منها:

-نظرية الدورة الدموية لابن النفيس:

كانت نظرية لجالينوس، أن دم لم يتولد في الكبد ومنه ينتقل إلى البطين الأيمن في القلب، حيث تجري تنقيته وتطهيره من الرواسب بواسطة الحرارة، ثم يسري بعد ذلك في العروق إلى مختلف أعضاء الجسم فيغذيها، وان بعضه يدخل البطين الأيسر عن طريق مسام في الحجاب الحاجز، حيث يمتزج بالهواء الذي يأتي من الرئتين، وهذا المزيج يسمى بالروح الحيوي الذي ينساب في الشرايين، إلى مختلف أنحاء الجسم ومن البطين الأيمن يجري قسم من الدم النظيف في أوردة الرئة بهدف إيصال الغذاء لها، فكان النفيس أول من نقد هذه النظرية وجاء بنظرية الدورة الدموية، إذ اكتشف أن تغذية القلب تحصل بواسطة الدم الذي يجري في العروق الموزعة في أنحاء القلب كله، وهناك اتصال بين أوردة الرئتين وشرايينها يتمم الدورة الدموية ضمن الرئة، وليس في جدار القلب فاصل بين شطريه أي صمام بل أن دم يجري في دورة متكاملة، وهذا ما اكتشفه الأوروبي هارفي بعد 400 سنة من اكتشاف ابن نفيس.

- عارض ابن سينا قول القدامى بأن الأنسجة الطرية كالدماء والأنسجة القاسية كالعظام لا تلتهب، وكان أول من اكتشف التهابات غشاء الدماغ المعدية وميزها من غيرها من التهابات، ووضع أول وصف لتشخيص مرض تصلب الرقبة
- نقد طبيب من أصفياء، صلاح الدين يدعى عبد اللطيف 1231، جالينوس الذي قال بان الفك الأسفل مؤلف من قطعتين عظم يجمع بينهما تدريز، إذ فحص أكثر، من ألفين هيكل عظمي بشري ويكتشف، أن فك السفلي عظمة واحدة دون تدريز.

- الرازي اكتشفه لظواهر مرض الحصبة والجذري وتطوراتهما، ألف عنه رسالة وظلت مرجع في أوروبا حتى القرن 18
- ابن رشد اكتشف المناعة التي يتركها داء الجدري الأسود لدى إصابته الأولى، بينما صرح القيصر ماكسميليان الأول بعد 200 سنة، أن العدوى الجدري، إنما هي من غضب الله جزاء على عمل الذين لا يؤمنون، وكانت محاولة إدخال مبدأ التطعيم ضد الجدري في أوروبا في أواخر القرن 18، حققتها العرب في العصور الإسلامية الأولى
- الجراح الأندلسي الكبير أبو القاسم الزهراوي ت 1036، أدخل تجديلات كثيرة على علم الجراحة، وداو الجروح، ونجح في عملية شق القصبة الهوائية، ونجح أيضا في إيقاف النزيف بربط الشرايين الكبيرة، وادعى تحقيقه لأول عام 1552 م، في حين أبو القاسم قد حققه وعلمه قبل ذلك ب 600 سنة. Ambroise paré مرة الجراح الفرنسي
- اكتشاف العدوى: في 1348 انتشر مرض الطاعون، وجاءت نظرية في مونبليه، تقول أن نظر المريض هو المسئول عن انتشار الطاعون، وبالتالي فقد نصح الطبيب أو الكاهن من المريض إغماض عينه، وكان عند العرب في عام 1348 أي أكثر الأعوام هولا كتب وزير في قصر غرناطة الطبيب العربي ابن الخطيمة، الذي أشار أن من خالط احد المصابين أو لبس من ثيابه ابتلى مباشرة بالمرض، وبعد 80 عام اكتشفت أوروبا أمر هذه العدوى.

-اكتشف العرب الأمراض العصبية العقلية، فعالجوا هذه الأمراض بالآفيون، كما هو متبع حديثا، وأبدعوا في المعالجة النفسية، ووضعت كتب خاصة في هذا الموضوع، وطالب ابن سينا بضم وسائل النفسانية إلى التداوي بالعقاقير لزيادة مفعولها، وإزالة الخوف عند المريض، ومقارنة بالغرب فكانوا يعتبروا أن هذا المرض لعنة من السماء، وان الشيطان استبد بصاحبه، يجب ان يطرد، وكانوا يضعوا المريض في اسجن ويعذبوه ويضربوه . (هونكه، 1993، ص ص. 270-277).

- اختص الأطباء المسلمين في الطب، فمنهم من اختص بممارسة طب العيون، وحتى أنهم ألفوا مجموعة من كتب خاصة به، وكان من هم حنين بن إسحاق الذي ألف كتاب في عين، علي بن عيسى الكحال 11م له كتاب تذكرة الكحالين، محمد بن قسوم الغافقي 12م له كتاب المرشد في الكحل، صالح الدين يوسف الكحال 1298م، له كتاب نور العيون وجامع الفنون، كما تنبه الأطباء العرب إلى أمراض الأطفال والكبار، فتخصصوا فيه والفت كتب عنه ونذكر منها: أول كتاب تخصص طب الأطفال هو كتاب "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم " لأحمد بن يحيى البلدي المتوفى 368هـ-978م، " لابن الجزار القيرواني 285-369هـ/895-980م كتب لأطفال والمسنين وهم سياسة الصبيان وتدريبهم، وكتاب طب المشايخ وحفظ صحتهم، ومن ابرز متخصص في طب الأطفال، الطبيب والصيدلاني أبو علي

أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه، توفي سنة 410هـ، الذي ألف رسالة في أوجاع الأطفال، حيث عرف كل مرض باسمه وأعراضه، وطرق علاجه. (المازني، 2006)

وأهم ما قام به المسلمون في اكتشاف طرق علاج وتسكين الألم المرضى، فبحثوا عن نباتات و عقاقير، و يقومون بتحضيرها لتصبح الدواء المخصص لكل مرض من أمراض، ليرتقي بعد ذلك ويصبح علما قائما بنفسه وهو علم الصيدلة، ونقلوا هذه المهنة من تجارة حرة يعمل فيها من يشاء إلى مهنة خاضعة لدولة، وذلك في عهد المأمون، ثم أمر المعتصم من بعده توفي 227هـ أن يمنح صيدلاني شهادة تجيز له العمل، وأقاموا الرقابة على الصيدليات والصيدلة من خلال وظيفة الحسيبة. وعن طرق تحضير فكان لأطباء المسلمين ابتكارات وابدعات وطرق تحضير منها ما أصبح معمول به إلى وقتنا الحاضر ونذكر أمثلة:

- كشف الرازي عن طرق تحضير العقاقير فكشف قواها وصنفها إلى أربعة أقسام: مواد ترابية، ومواد نباتية، مواد حيوانية، وعقاقير مولدة، وفي عمليات تحضير العقاقير وتركيبها استخدم الصيدلة المسلمون عدة مراحل وهي:

- 1- التقطير: لفصل السوائل 2-الملغمة: لمزج الزئبق بالمعادن الأخرى 3-التنقية لإزالة الشوائب 4-التسامي: لتحويل المواد الصلبة إلى بخار 5-التصعيد: لتكثيف المواد المتصاعدة 6-التشويه: لتحضير بعض المعادن من خاماتها 7-التشميع: لصهر بعض المواد بإضافة مواد أخرى إليها 8-التكليس: لإزالة ماء التبلور وتحويل المواد التبلور إلى مساحيق 9-التبلور لفصل بلورات المواد المذابة 10-الترسيخ: لفصل الشوائب والحصول على محلول نقي.

ومن ابتكاراتهم أن ابن سينا وصيدلة آخرين، استطاعوا أن يمزجوا الأدوية بالعسل وأيضاً بالسكر والعصير، ليصبح طعمها مستساغاً، وجعلوها على أشكال أقراص وغلغوها، وكان أول من استعمل طريقة التغليف ابن سينا، إذ غلف الحبوب بالذهب والفضة، وكان الزهراوي أول من حضر الأقراص بالكيس في قوالب خاصة. (السرجاني، 2009، ص. 116).

-الرعاية الصحية والتعليم الطبي الإسلامي:

اعتنى المسلمون بالطب والصحة عناية لم تشهد من قبل في التاريخ القديم، حيث اهتموا بتعليم الطب وتطويره، من خلال إنشاء المدارس وبالصحة الناس، من خلال إنشاء البيمارستانات، فكانت البلاد العربية والإسلامية إبان الحضارة الإسلامية، تزخر بالبيمارستانات كزخرها بالمدارس ودور العلم، ان عدد البيمارستانات في البلاد العربية والإسلامية في وقت ما زاد عن مئة، إذ كان في مدينة قرطبة وحدها 50 مستشفى، وعدد بيمرستانات بغداد زاد على العشرة.

-البيمارستانات:

بيمارستان بفتح الراء وسكون السين، كلمة فارسية مركبة من كلمتين، بيمار يعني مريض، وستان بمعنى مكان أو دار المرضى، واختصرت في وقت الاستعمار، وأصبحت مارستان، و أول من اتخذ البيمارستان في الإسلام، قال عيسى بك (1981)، روى مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت " أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه رجل من قريش ابن العرق، رمي في الأكحل، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد يعوده من قريب ". (ص. 10)

كانت امرأة تدعى ربيعة في مسجده تداوي الجرحى، ومن ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم أول من أمر بالمستشفى الحربي المتنقل، وأول من بنى البيمارستان في الإسلام، ودار المرضى الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي في سنة 11هـ/706م.

كان البيمارستان على نوعين: ثابت ومحمول، فالثابت ما كان بناء ثابت في جهة من الجهات لا يتنقل منها، أم المحمول فهو الذي يتنقل من مكان إلى آخر حسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها وكذا الحروب، وهو المعبر عنه في العصر الحديث ب الهواري، 2005، ص. 22 (Ambulance)

كانت للمسلمين طريقة لتحقيق من جودة الهواء وصلاح الموقع لبناء المستشفيات، وعندما أراد عضد الدولة، أن يبني مستشفى جديدا حديثا في مدينة بغداد أوكل إلى الطبيب الرازي، بالبحث عن أفضل مكان له، فكان أن أوصى الرازي خدمه بتعليق قطع كبيرة من اللحم في كل أطراف بغداد، ثم انتظر مدة أربع وعشرين ساعة، وانتقى المكان الذي ظل فيه اللحم أحسن حالة. وكانت البيمارستانات، تشمل نوعين الخاص بالعيون والأمراض العقلية و الشامل لجميع الأمراض، وملأت بها بقاع الدولة الإسلامية من بغداد شرقا إلى بلاد المغرب والأندلس غربا، كما عمت هذه المستشفيات بلاد الشام ومصر، وحتى السجون كان الأطباء يدخلونها لعلاج المرضى فيها، إذا أمر الخليفة المقتدر بالله الطبيب ثابت بن قرة، عندما كان مشرفا على جميع بيمارستانات بغداد، أن يفرد أطباء يدخلون إلى المساجين في كل اليوم، ويحملون إليهم الأدوية. (عبد الرحمان، 1428هـ، ص. 71)

جاء في كتاب هونكه (1993) وصف للبيمارستانات، من خلال رسالة مريض لوالده، تظهر مدى اهتمام المسلمين والعناية الصحية من خلال مؤسسات العلاج، ويصف البيمارستان بأنها مقسمة إلى قسمين، قسم خاص بالنساء وآخر خاص بالرجال، وبها عدة أقسام، قسم الاورتوبادي ortopadie، مركز الإدارة، وقسم الجراحة، وصيدلية كانت تسمى شرايخانة وهي كلمة فارسية ومعناها خزانة الشراب، وبها مكتبة ضخمة، وقاعة كبيرة يحاضر فيها الرئيس الطلاب، وقاعة بها

موسيقى وقاعة مطالعة يدخلها المريض في فترة النقاهة، أما بالنسبة للعناية بالمريض، فاعند لحظة دخوله تتم معانيته من قبل الطبيب ومساعديه، ومن لا يحتاج إلى معالجة دائمة في المستشفى، توصف له وصفة من خلالها يحصل على دواء من صيدلية الدار، ومن يبقى فيها يقومون بتحميمهم والباسهم ثياب نظيفة من المستشفى، ويمر الطبيب كل يوم لاطمئنان على حالة المريض، ويصف نظافة الأسرة وأعطيتها ونعومتها كالحري، وجود الماء الجاري في كل غرفة، وفي برد تدفأ الغرف، والأكل كان عبارة دجاج ولحم، وعند شفاء المريض وخروجه يحصل على لباس جديد و 5 قطع ذهبية، لكي لا يضطر إلى العمل مباشرة عند خروجه. (ص. 299)

وأشهر بيمرستانات:

في بغداد:

- 1- بيمارستان الرشيد: أنشاه الخليفة هارون الرشيد، وعهد برعايته إلى جبريل بن بختيشوع طبيب بجنديسابور.
- 2- بيمارستان العضدي: وأنشاه عضد الدولة البوهيمي سنة 372هـ-982م

بيمارستان القاهرة:

- 1- بيمارستان ابن طولون: أنشاه ابن طولون سنة 259هـ/872م
- 2- بيمارستان الناصري: أنشاه السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 567هـ-1171م، وانتقى في اختيار قصر بعيد الضوضاء
- 3- بيمارستان المنصوري أو بيمارستان قلاوون: و أنشاه السلطان المنصور سيف الدين قلاوون في القاهرة 683هـ-1284م

بيمارستانات دمشق:

- 1- بيمارستان النوري الجديد، الذي بناه نور الدين محمود الزنكي سنة 549هـ-1154م بدمشق غربي الجامع الأموي الكبير

بيمارستان حلب:

- 1- بيمارستان النوري: ويعرف باسم البيمارستان العتيق، وقد أنشاه نور الدين محمود الزنكي
- 2- بيمارستان الارغوني الكامل: وقد أنشاه الأمير سيف الدين الأرغوني والي حلب في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون 755هـ-1354م

وفي الأناضول: بيمارستان قيسرية شيدته كوهي ابنة قليج ارسلان سنة 600هـ، بيمارستان محمد الفاتح 875هـ-1470م، وبيمارستانات في بلاد المغرب: دمنة تونس في تونس أنشاه احد ملوك الحفصيين، بيمارستان أمير المسلمين أبي يوسف، أنشاه ملك الموحدون. (الضلي، 2020، ص. 35)

وكانت هذه المستشفيات على رغم من غناها ورفاهيتها، كانت تفتح أبوابها للفقير وغني دون تميز، وكانوا يعالجون مجاناً، ولم يكن يكلفهم العلاج درهما واحداً، وكانوا يحصلون مجاناً أيضاً على المأوى والغذاء، والعقاقير، والألبسة، بالإضافة إلى تعويض مالي، عندما يتماثلون للشفاء .

تدريس الطب ومزاولته:

اعتمد المسلمين في تدريس الطب على الطريقة النظرية والتطبيقية، فكان طلاب الطب في احتكاك دائم مع المرضى، فيقابلوا ما قد تلقنوه نظرياً بما يشاهدونه بأعينهم، فكانت مكان تعليم الطب في البيمارستان، ويتلقى الطلاب فيها علومهم ويتعلمون كل ما قلّه ابوقراط وجالينوس، وما جاء به أساتذتهم العرب الكبار أنفسهم، وكانوا يستمتعون إلى كل هذا أيضاً في باحات الجوامع وفي مدارس الخاصة، وأول من مارس هذا النوع من المدارس الخاصة، هو يوحنا بن ماسويه في بغداد زمن خلافة أولاد الرشيد، ثم اشتهرت مدرسة الرازي، فكان له فريق يتجاوز الأربعة وعشرين، فمنهم المختص بالأمراض الداخلية، ومنهم بالأمراض العصبية، منهم الجراحون، ومنهم الأطباء المختصون بالأمراض المفصل والعظم ومنهم أطباء العيون، كما اشتهرت سنان بن ثابت بن قرة، وابنه الأشعث، وممن تبعهم من الأطباء ابن التلميذ ببغداد، وابن أبي أصيبعة في بلاد الشام، وغيرهم، حيث اجتذبت شهرتهم التلاميذ من بعيد وقريب. (القعود، 2014، ص. 5)

ولم يكن بإمكان أي أحد مزاولة الطب دون سابق دراسة، وكان الأساتذة يقومون بإعطاء طلاب الطب، شهادات بالمحاضرات التي سمعوها، وحق التدريس يتطلب تصريحاً خاصاً، لقد قام الخليفة العباسي المقتدر بالله 319هـ، بتنظيم صناعة تطبيب وقيدتها بنظام خاص حرصاً على مصلحة الناس، فمنع جميع المتطربين من التصرف إلا من امتحنه الطبيب سنان بن ثابت بن قرة، إذ أن الأطباء في أول عهد الدولة الإسلامية، تكتفي بقراءة الطب على أي طبيب من النابهين في عصره، ومن ثم يباشر الطب، وكانت هناك وظيفة الحسبة، وهي بمثابة تفتيش و رقابة الأطباء والصيدلة، وركز الرازي عن طبيب وآدابه، فألف كتاب في الحديث عن الأطباء وواجباتهم المهنية وأدب الطب. (المازني، 2006)

وكان كل طبيب أراد الاستقرار يجلب تصريحاً خاص يشهد بعلمه وكفاءته، وامتحانات التخصص مثلاً في الجراحة، كان يمتحن في مادتي علم التشريح وعلم الجراحة، ويتأكدوا من مدة معرفته بها، وكان يستدعي عدد من الأطباء للتشاور والإشراف على ترخيصه للعمل في طب الجراحة، فعمليات الجراحة كانت تقوم بإشراف طبيب على التخدير بالحشيش

والأفيون، وطبيب آخر يراقب النبض، وآخر يشق بعناية فائقة مع الحرص أن لا تجرح أي شريان، وكان كل شيء يسجل ويعطي حقه من البحث، حتى اقل الظواهر قيمة وأكثر غموض، ثم تحفظ في محضر خاص بالمريض. (هونكه، 1993، ص. 293)

ومن بين المدارس الطبية في الحضارة الإسلامية:

- المستنصرية، أنشأها الخليفة العباسي المستنصر سنة 633هـ-1235م في بغداد
- المدرسة الدينسورية: أنشأها عماد الدين الدينسوري سنة 686هـ-1287م في دمشق
- المدرسة البوذية: أنشأها نجم الدين البودي سنة 664هـ-1265م في ضواحي دمشق
- مدرسة الخانقاه الاسدية: 740هـ-1339م بظاهر دمشق.

وكان عدد الأطباء المتخرجين قد بلغ يوما ما 860 طبيباً في مدينة بغداد فقط (الوزي والشابندر، 1939، ص. 40) ومن هنا تظهر عناية الخلفاء والأطباء، بالصحة الناس من خلال النشاء المستشفيات والعناية بصناعة الطب وتعليمه وإنشاء مدارس خاصة به، فكانت تصرف أموال طائلة على هذه مؤسسات الطبية، فمن أين كانت تأتي هذه الأموال ؟

- دور الأوقاف في الرعاية الصحية:

لقد كان للوقف أكبر الإسهامات في إنشاء وتشغيل البيمارستانات، وكان له دور مهم في تمويل وتجهيز المستشفيات، ورواتب الأطباء ومساعدتهم وممرضين والخدم، وتمويل مدارس الطب والصيدلة، وكان القيمون عليها يسجلون كل شيء في سجلات خاصة تقيد فيها ميزانية المؤسسات، من المصاريف ورواتب الأطباء، وإضافة إلى إسهام الوقف في المستشفيات، فقد كان له دور كذلك في بناء المراكز الصحية المتنقلة، لخدمة المرضى في الأماكن النائية عن المدن، والوقف ليس تبرعا عاديا، فهو نظام تبرع وإدارة في الوقت ذاته، ولم يكن تأسيس البيمارستانات وفقا على الخلفاء والسلطين وأثرياء، وإنما ساهم الأطباء في تأسيسها أيضا، مثل سنان بن ثابت على المقتدر الذي أنشأ في باب الشام ببيمارستان وسماه المقتدري، وكان ينفق عليه من ماله في كل شهر مائتين دينار، وافتتح أيضا ببيمارستان السيدة ببغداد، وذلك على نفقة السيدة أم المقتدر، كما يذكر أنه أحد حول دوره إلى ما يشبه البيمارستان يأوي إليه المريض من الفقراء، فيعالجهم ويقدم لهم أغذية والأدوية ويقوم بخدمتهم مجانا، وكان ينفق أكثر دخله في هذا السبيل. (عبد الرحمن، 1428هـ، ص. 86)

كان يخصص الوقف للوظيفة، يقوم لها اثنين من الرجال، كانت مهمتهما أن يقفوا بالقرب من المريض الميئوس من شفائه، ويسأل كل منهما الآخر عن حقيقة علة المريض، فيجيبه رفيقه بصوت يسمعه المريض، بأنه لا يوجد في علته ما يشغل البال، وإن الطبيب سيأمر بإخراجه من المستشفى بعد أيام، ليمنحوه نشاط يتغلب به على مرضه. فقد جاء أيضا في صك الأوقاف التي تحبس ريعها لصالح المستشفى النوري أو العتيق بحلب، أن كل مريض عقلي يخص بخادمين يحمانه كل صباح ويلبسانه ثيابا نظيفة، ويحملانه على أداء الصلاة وسمعه قراءة القرآن، ويفسحانه في الهواء الطلق. (المازني، 2006)

وفي تونس كان هناك وقف قدم لوظيفة، وهي التسييح في المئذنة ليلا، وذلك للمرضى الذين لا يستطيعون النوم ليلا بسبب الألم والوجع، فخصص وقف للمؤذنين، الذين يسبحون الله عزوجل، ومثل هذا الوقف لم يكن في تونس فقط، ولكن في عدد من بلاد المسلمين، وقامت مؤسسة الوقف بتمويل الكتب والمصنفات العلمية لرعاية التعليمية، فمولت كتب قيمة، منها الحاوي لرازي، الكليات في الطب لابن رشد، والقانون لابن سينا. (عبد الرحمن، 1428هـ، ص. 159) للوقف دور في المجتمع الإسلامي، ورسم صورة الزاهية للحضارة الإسلامية، فكان نظام الوقف الداعم والممول الأول لرعاية صحية للمجتمع وبناء مؤسساته، والمساهم في تطوير العلوم، لاسيما صناعة الطب وإنتاجه.

-انتقال العلوم الطبية الإسلامية إلى أوروبا:

امتاز القرن الثالث عشر بظهور الجامعات في أوروبا، وبدأت هذه الظاهرة في ايطاليا، إذ كانت علمي الطب والصيدلة كانا محصورين في أوروبا خلال العصور الوسطى في الأديرة ورجال الدين، وبقي الحال حتى وضع حد لتدخل القساوسة في مهنة الطب عندما تحولت إلى مهنة قائمة مستقلة بذاتها في 1163م، وبينما كانت طلاب العلم في بلاد الغرب يسهرون الليالي درسا وحفظا على ضوء الشموع في قاعات الأديرة، كانت التجربة العلمية عند المسلمين تسير مع العلم جنبا إلى جنبا، ويقومون بإشباع الحالات الصعبة بالبحث والمناقشة والمعالجة، عكس النظريات في بلاد الغرب جافة خالية من التجارب، وكان الطب الأوروبي مبني على الجهل والخرافات، كالمريض عقلي به شيطان فيعذبوه، وسبب نشر الطاعون اليهود فحرقهم، ونسبوا الأمراض إلى التقاء الكواكب وغيرهم من الخرافات .

لقد كانت مدينة سالرنو الايطالية من أوائل المدن التي تسرب من خلالها الفكر العربي الإسلامي إلى أوروبا، إذ انشئ فيها مدرسة للطب عام 846م، وتعد هذه المدرسة الجسر الذي أوصل الشرق بالغرب، ثم ظهرت مدينة مونبليه التي ورثت الطب من مدرسة سالرنو، وكانت بايطاليا جامعة بها حوالي 3000 طالب عام 1238م، إلى أنها وصلت إلى قمة مجدها عام 1405م، عندما أصبحت تابعة لمدينة البندقية المشهورة بسياسة الانفتاح (بوحجرة، 2015، ص. 84)

ترجمت كل موسوعات الطب الإسلامية إلى اللاتينية، ونقلت هذه الصناعة بين أطباء أوروبا، ولم يضارع أحد أطباء العرب من علماء الأوروبيين إلا إلى مطلع العصور الحديثة، وأصبح أطباء أوروبا يقرءون الكتب العربية ليستفيدوا منها في مزاوله الصناعة وكسب الأموال، وترجموا كتاب القانون ابن سينا، القرن الثاني عشر، كما ترجموا كتاب الحاوي للرازي سنة 1279، وترجمت كتب ابن الهيثم، ومن برامج جامعة لوفان المحفوظة أن كتب الرازي وابن سينا، كانت هي المرجع المعول عليه عند أساتذة تلك الجامعة إلى أوائل القرن السابع عشر، وطبع باللغة اللاتينية كتاب التعريف لمن عجز عن التصريف، لأبي القاسم خلف بن العباس، في القرن الخامس عشر، فكانت كتب أبي القاسم مرجع الجراحين جميعاً بعد القرن الرابع عشر ميلادي. (العقاد، 2005، ص.31)

عرفت ممارسة الطب تطوراً كبيراً في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأصبح الطب أكثر دقة، أكاديمياً وعلمياً، وأصبحت له مكانة في المجتمع لا يمكن الاستغناء عنها.

-الطب الإسلامي في العصور الحديثة:

لما انقضت الدولة العباسية وحلت ببغداد، النكبات العظيمة بعد استيلاء هولاكو المغولي طغى عليها الخراب، فلم يبق من آثار العمران شيء، واندثرت المعاهد العلم وتفرق أهلها، وانحطت العلوم الطبية، ومناصب العلمية والمدارس، فكانت الطب في حالة محزنة، وأصبح مبني على الشعوذة والسحر، أن العصر الحديث بالنسبة للعرب يبدأ مع انتهاء مرحلة حكم دولة المماليك في معظم الأقاليم العربية، اثر انهزامها على يد الدولة العثمانية، التي حلت مكانها وسيطرت على، الوطن العربي 1516م، فقبل ذلك كانت تتواجد مجموعة من علماء العرب والمسلمين، ساهموا في صناعة الطب، إلا أن العلوم الطبية تجمدت نسبة إلى التطور التي عرفته دول أوروبا، وحتى المؤسسات الطبية بداية من القرن السادس عشر، بدأت تواجه النهاية، ولم ينتهي القرن الثامن عشر، إلا وكان أكثرها قد تهدم، وتوقف عن نشاطه، حين أصبحت الدولة تتدخل في شؤون الأوقاف المخصصة لها، وسوء إدارة القائمين على تلك البيمارستان، وسوء أمانتهم لأوقافها، مما لا يسمح لاستمرارها، واضطراب أوضاع البيمارستان والتعليم الطبي، دفع الراغبين في تعلم الطب البحث عن أستاذ، ويتلقى التعليم منه سواء في منزله، أو عيادته، أو المساجد. (شحادة، 2000، ص.41)

تراجعت العلوم الطبية، وتدهورت لدرجة، حتى إن الحلاقون كان لهم دور في التطبيب، فكانوا يمارسون بعض أعمال الطب الشعبي، مثل معالجة بعض الإصابات، وإجراء بعض الجراحات البسيطة للأيدي والأقدام، والكي والمداواة بالأعشاب، وشطب رؤوس الأطفال بالقرع وغيرها، والحلاقون في الغرب قاموا بمثل هذا العمل، وكارت بك مؤسس الكلية الطبية في القصر العيني في مصر، كان أجير حلاق. (الشطي، 1961، ص.41)

الطب والحجب:

بعض الشيوخ الذين يكتبون الحجب، لعبوا دوراً في الطب فقد كانوا إلى جانب الكتابة، وقراءة على ماء يصفون غلي بعض النباتات والأعشاب، وكان بعضهم يصف كاسات الهواء ويصف له تبديل الهواء، وخدعوا المرضى، وأوهموا معظم مرضى النفس أن ما يكتبونه، يشفيهم حتى ازدحمت أبوابهم بالمرضى وكانت هذه نتيجة تراجع الاهتمام بالتعليم، وإبعاد العلماء، وكتابة الحجاب كانت معروفة أيضاً عند الغرب، فالأطباء المبشرون يستعملون الكثير من الأوهام التي يستعملها كتاب الأحجية، وانتحلوا المشعوذين في المدن العربية في العصر العثماني مهنة الطب، وأصبحت تورث، وكان الذي يمارس هذه المهنة ملقب بـ الحكيم، واحد المشعوذين فتح عيادة له في حي السقالين في دمشق، وكان يتقاضى اجر باهظ، يقارب ثلث قيمة الليرة الذهب العثمانية. (الضلي، 2020، ص.49)

أما بالنسبة للبوادي، فكان الأطباء يتنقلون بين العربان فإذا أصيب بدوي بجراح خيطنها الطبيب، وكان يستعملون الكي بالنار.

اهتم عديد من سكان القصور في الأناضول بالحماية الصحية، فأنشئوا عدد كبيراً، من المستشفيات، الصيدليات، المستوصفات... وغيرها من المؤسسات منها:

: Hasek Hastahanesi

أسس في عام 1550م من وقبل زوجة سليمان القانون، السلطنة هرم، وكان به صيدليين مهمين مثل حمدي باي، وسوريا باي الذي عرفت من خلاله صيدلية المستشفى مستوى التقدم العلمي، من حيث الترتيب والدقة والنظافة، فضلاً عن تشكيلة غنية من الأدوية، وجمع المستشفى جميع شروط الصحية، وعرف عدة تطورات وتحولات خلال القرون، وعرف آخر 30. جوان. 1892م.

- المركز الصحي لمجمع السلطانية أسسه سليمان القانوني عام 1557م، وظل حتى عام 1848م

، تأسس عام 1582م مركز الصحي لأم السلطنة نور بني -

Gureba Hastahanesi :

مستشفى تم تأسيسه 1845م، لاستقبال مرضى المسلمين بعد وباء الجدري 1843م، من قبل والدته السلطان عبد المجيد

Hamidiye Etfal Hastahanesi :

تم بناءه بطلب من السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م، لذاكرة ابنته ماتيس، التي توفيت بدفيرييت في سن ثمن سنوات، وكان المستشفى الأكثر تنظيماً في العصر الحديث، أثاثها تم صنعه خصيصاً من قبل صانعي الخزائن في قصر يلدز، والمزهريات، والأواني... وغيرها من ورشة السيراميك من نفس قصر يلدز، بها صيدليين يشرف عليهم رئيس يقومون بتحضير الأدوية 200 في اليوم.

وبالنسبة لصيدليات فكانت تتواجد مع المستشفيات، مثل صيدلية المستشفيات العسكرية Gulhane Hastahanesi، صيدلية Mecidiye Hastahanesi، صيدلية Maltepe Hastahanesi، صيدلية ومن 1848م صيدلية خاصة بقصر يلدز، يوظف فيها صيادلة خرجي المدرسة الطبية العسكرية، فكانوا مسؤولين عن تحضير الأدوية وتأكد من الحراس، وزيارات المرضى، مراقبة المنتجات الغذائية، مسؤولين عن إدارة المخابر وغرف العمليات، ورئيس الصيدلي، هو صاحب مفتاح خزانة السموم، يمضي أيضاً التقارير التي تؤكد توفر المنتجات، يوفر ويراقب الأدوية للمرضى، وحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت إشراف الصيدلية يورث، ينتقل من الأب إلى الابن.

(Afife, 2012, p. 18-19)

الطب الأوروبي في الدولة الإسلامية:**-الأطباء الأوروبيين:**

إن الأهمية التي ولها السلطان محمد الفاتح 1451-1401م للعلوم، قد جذبت العلماء الشرقيين والأوروبيين إلى الأراضي العثمانية خلال القرن الخامس عشر، وسمحت الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوروبية، بداية بالمعاهدة 1536م بين السلطان سليمان القانوني وملك فرنسا فرانسوا الأول، بإقامة القنصليات الدول الأوروبية في البلاد العثمانية، إذ أصبح لهذه القنصليات في المدن العربية ذات مكانة اقتصادية واجتماعية، وبذلك وفدت الجاليات الأوروبية بما فيهم الأطباء، وكان للأطباء الأجانب دور في الدولة العثمانية عامة والولايات العربية، كما اعتمد السلاطين الدولة العثمانية على الكثير من الأطباء الأوروبيين، ومن أوائل الأطباء، الطبيب الإيطالي جاكوبو دي كايوتا gaeta Jacobo di من أصل يهودي دخل أولاً في خدمة السلطان مراد الثاني 1451-1421، ثم أصبح الطبيب الخاص للسلطان محمد الفاتح، وحصل على رتبة كبير الأطباء في القرن السادس عشر، لقد كان الأطباء اليهود قادمون من اسبانيا، البرتغال وإيطاليا، فدخلوا طب عصر النهضة للعثمانيين، ومارسوا الطب في مختلف المدن، ومنهم من مارس الطب دخل السراي، من هم موسى هامون، القادم من غرناطة 1493، الذي أصبح طبيب في سراي السلطان سليمان القانوني، وطبيب موسى كالينوس القادم من الأندلس، عاش في النصف أول من القرن السادس عشر، وحتى إلى القرن التاسع عشر، استمر اليهود في ممارسة الطب بتطبيق الأساليب العلاجية التقليدية. (Gunergun, 2004, p. 37)

كان أيضاً لأمراء الولايات العثمانية أطباء أجانب، كالأمير فخر الدين المعني الثاني 1590-1635م، الذي كان لديه طبيب فلورنسي يدعى لاندني من سيين: وطبيب فرنسي أقامه الأمير في بيروت، في 1630م حين اجتاحت الكوليرا مدينة حلب استعان المعني بالأطباء الإيطاليين لوقف انتشار الوباء. وكان يأتون مع الجاليات الأوروبية الأطباء فرنسا والبنديقية، خاصة في عكا وطرابلس و الاسكندرون، وذلك لتقديم شفايتهم على أيدي الأطباء المحليين، الذي وصفهم الطبيب الأوروبي دارفيو بأنهم جهلاء ويجربون جهلهم على المرضى، وأبرزهم طبيبان فرنسيان جراحان في عكا، وكذلك الطبيب الانجليزي راسل الذي جاء مع القنصلية الانكليزية إلى حلب. (الضلي، 2020، ص. 50)

وبالنسبة لوجود الأطباء الأوروبيين في الجزائر يعود إلى ما قبل مجيء الأتراك، إلا أن عددهم زاد خلال العهد العثماني، وزادت مكانتهم عند العامة والمسؤولين، وجاءوا الأطباء منهم موظف في شركة أو مؤسسة أوروبية، منهم رحالة، ومنهم بدافع الوقوف على خدمة الأسرى، الذي رأى بعض الأجانب تدني أوضاعهم الصحية، فقامت بعض الهيئات الدينية بجلب أطباء أوروبيين، وإنشاء مستشفيات لإيوائهم وعلاجهم، كما كان الجزائريون يحترمون ويثقون بكفاءة الأطباء الأوروبيين، لدرجة أنهم يقدمون لهم أموال طائلة وهدايا قيمة. (بوحجرة، 2015، ص. 24)

وشغل أطباء وصيادلة عثمانيون وأخصائيون أجانب مثل الجراحين الألمان Ernst von Bergman وBernard Bier " بير برنار، وارنسست فون برجمان "، والأطباء العسكريين Karl Ambos وJakop neuner " جاكوب نونر و كارل امبوس " مناصب عليا، في الحكومة العثمانية، وكان يتم تكريمهم، وفي الصيدليات الإمبراطورية السرية للغاية، كان هناك صيادلة من الخارج مثل هوف جمان Hofjmann، الكيميائي نمساوي في عام 1838 م الصيدلي الرسمي للبلاط، وكان أغلبية متخرجين من مدرسة الطب في نمسا. (Michéle, 2010, p. 118).

المؤسسات الطبية على النمط الأوروبي:

كانت هناك محاولات لنهوض بالعلوم الطبية بعد الركود الذي أصابها، فحاول السلاطين عثمانيين إنشاء بعض المدارس ومنهم:

المدرسة السليمانية: أمر السلطان سليمان القانون 1520-1566م بإنشائها في استانبول سنة 975هـ/1542م، فقامت قرب الجامع المعروف باسمه، وقام بقربها دار للعقاقير، وكان التدريس فيها على الطراز القديم، الطب اليونان والعربي، وظلت حتى أواسط القرن التاسع عشر، وكان لممارسة مهنة الطب لابد من شهادة من مدرسة السليمانية، وكان الأطباء الأوربيين المشكوك في كفاءتهم في الحكومة، عند حدوث أي خلل، أو مشكل في علاج مريض، ينسبون ذلك لاختلاف التعليم الطبي الأوروبي، والتقليدي في الدولة العثمانية في هذه الفترة. (Bournaud, 2012, p.139).

قام السلطان محمود الثاني في سنة 1242هـ / 1827م، بتأسيس أول مدرسة طبية "طبخانه"، كانت في بداية مدرسة طبية عسكرية، فكان يخرج منها الأطباء للجيش، وفي سنة 1839م، تحولت لمدرسة طبية مدنية باسم مكتب طبية عدلية شاهانه، وكان التدريس فيها باللغة الفرنسية، إذ ذكر السلطان أن ليس هدفه تعليم الطلاب اللغة الفرنسية، ولكن هدفه تعليمهم العلوم الطبية الأوروبية، ثم يقوم بإدراجها تدريجيا في اللغة العثمانية، فكانت يدرس فيها الطب الحديث على النمط الأوروبي، وعين في أساتذة أوروبيين، وعين الطبيب شارل امبواز برنار 1844-1808 Charles Amboise Bernar " مدير لها، خريج أكاديمية الطب العسكري في فينا، ووصلت المؤسسة إلى المستوى المماثل للمدارس الأوروبية، تحتوي على قسم الطب، وقسم الصيدلة، وقسم الجراحة، بالإضافة إلى مستشفى ومخابر، ومكتبة ومسجد، وحديقة أنشائها الصيدلاني الألماني F.W.Noë (1818, p.118). (Michèle, 2010).

جاء قانون من 1861م، على أنه لا يسمح إلا لحاملي شهادات من مدرسة الطب المعترف بها لممارسة، ويجب على خريجي الكليات الأجنبية، اجتياز مقابلة مع أساتذة المدرسة، الذي يحق لهم منح، ترخيص لممارسة المهنة، ويسمح لممارس الطب التقليدي، الذي تم تزويدهم بوثيقة رسمية تثبت كفاءتهم بمواصلة عملهم، ومن المقرر ان يختفي الطب العربي التقليدي، في حين أن الطب الغربي معترف به وهو الطب الرسمي. (Bournaud, 2012, p.140).

-وفي عام 1865 م أمر السلطان عبد العزيز بإنشاء مدرسة طبية أخرى باسم مكتب طبية ملكية شاهانه، لتخرج الأطباء الملكين، وكان الهدف من إنشائه، قلب لغة التدريس من الفرنسية إلى العثمانية، وكان هذا من اهتمام ناظر المدرسة جمال الدين، وإن اللغة العثمانية تحتوي على مصطلحات عربية وفارسية، فاجتهدوا في تنظيم صفوف لتعليم أداب اللغة العربية، واستعانوا بالمصطلحات الطبية التي وضعت في مصر خلال عصر خديوي محمد علي، وقاموا بمجهودات جبارة في التأليف والترجمة، رغم رفض بعض مجندي تغير اللغة الفرنسية، إلا أنهم وصلوا إلى مبتغى هم وفعلا تمكنوا من قلب لغة التدريس إلى العثمانية، سنة 1865 م تأسست الجمعية الطبية العثمانية، وقامت بوضع معجم طبي يتضمن المصطلحات الطبية باللغتين العثمانية و الفرنسية، واستغرقت هذه الجهود مدة ثلاث سنوات، وأصبحت دراسة فيها مدة خمس سنوات، وكان لمدرسة لملكية جناح في المدرسة العسكرية، ثم انفصلت عنها، وبقيت حتى عام 1910، وتكونت الإدارة الصحية العسكرية 1865م و الإدارة الصحية الملكية 1866م، لما ازداد عدد الأطباء المتخرجين، والمتخرجون من المدرسة الطبية العسكرية، يلتحقون بالجيش، وحلت اللغة الألمانية في مكان تدريس الطب، عام 1910م، بسبب توطد العلاقات التركية الألمانية، وأصبحت وجهة البعثات الطبية ألمانيا، بعد أن كانت فرنسا. (الوزي والشابندر، 1939، ص.47-48).

- مدرسة الطبية قصر العيني (مدرسة أبي زعبل):

تم إنشاء هذه مدرسة سنة 1827م في مصر، وكانت فكرة والي مصر محمد علي باشا الذي تولى حكم 1805م، إذ أراد تأسيس مدرسة الطبية على النمط الأوروبي الفرنسي، والتدريس باللغة العربية، لتخرج أطباء عربا يسهمون في النهوض بالمجتمع المصري، ونقص الأطباء في الجيش المصري، وحاجة الشعب المصري بمختلف فئاته للأطباء، كان سبب لإنشاء المدرسة. (شحادة، 2000، ص.62).

فكلف الباشا القنصل الفرنسي برنارد دوفيتي باختيار طبيباً يكون مديراً للمدرسة الطبية، والمستشفى العسكري، فقام باختيار أحد جراحي مرسيليا أنطوان براتيميلي كلوت بك، حيث استمر في إدارتها ما بين عامي 1827-1849م وكان له دور كبير في تأسيس الطب الحديث في مصر، والتحق بالمستشفى 150 شاباً مصرياً يتقنون لغتهم العربية، وتم تعيين أطباء أوروبيين بتدريسهم، ولصعوبة تأمين التفاهم بين الطلاب والمدرسين، تم تعيين مترجمين، منهم مترجم سوري يوحنا عنخوري، واختاروا ثلاثة من المدرسين المصريين منهم، محمد الهراوي، رفاعة الطهطاوي، وتم تحديد مدة الدراسة فيها خمس سنوات، وبتخرج أول دفعة من كلية الطب في ابن زعبل سنة 1832 م، تم إرسال الدفعة من الخريجين المتفوقين، إلى فرنسا لمتابعة دراسة وعادوا إلى مصر، وكانوا من أطباء المميزين ومدرسين، وأنشئ مشفى مدني ونقلت المدرسة العسكرية إلى القصر العيني، وأطلق عليها اسم مشفى الإستبالية الملكية، وصارت المشفى التابع للمدرسة الطبية، يقام به بإجراء عمليات جراحية ناجحة، وتم ترجمة عدد من الكتب الأوروبية الحديثة بواسطة مترجمي المدرسة، وبلغ عدد خريجي كلية طب في قصر العيني عند وفاة محمد علي بعد 18 سنة، ما يقارب 15000 طبيب مصري، وأصبحت مطبوعات مصادر طبية عربية مهمة للأطباء والمدارس الطبية الأخرى التي نشأت في الولايات العربية خاصة في بلاد الشام. وفي سنة 1878م

أصبح لابد من حصول على شهادة ثانوية للالتحاق بالمدرسة، وبعد الاحتلال البريطاني تم تحويل اللغة من العربي إلا بريطاني، لمحو كل ما هو عربي. (الضللي، 2020، ص.54)

وبالنسبة لبلاد الشام، فعندما أصبحت تحت الحكم المصري، وجاء إبراهيم باشا 1832م، كان له الفضل في يقظة العلماء، والمهندسين، والأطباء، والمتخصصين بالزراعة الذين جلبهم معه إبراهيم باشا، أثروا في أفكار الشعب، ونبهوا الناس إلى ما لهم من حاجة إلى إصلاح والنهوض، فكان الأطباء يداوون جرحى الجيش والمرضى الأهالي، وأنشأ المهندسين المستشفى مخصص لمرضى الجيش، وعند خروج إبراهيم باشا من البلاد كان عدد الأطباء قليلا، من تخرج من قصر العيني في القاهرة، ومنهم من الأستانة، ومنهم من كان من بقية الجيش المصري كالحكيم حسين بن علي جد الحاج نوري الحكيم وعائلته، رغم تأسيس عبد الحميد الثاني 1876-1909م، الكلية الطبية الملكية في الأستانة وغيرها من المشافي، إلا أن الإقبال على الطب والتعليم والوظائف لم يكن كما كان متوقع، كون المدارس العليا بالأستانة، ولغة التدريس فيها التركية، فكانوا يهاجرون لطلب العلم في بلاد الغرب، ومن 1866-1914م كان معظم الأطباء أجانب، إيطالي منهم أرفولر بوفه حي، ودكتور ألماني لورانس، ودكتور نمساوي جوزيف، ومن أبناء البلاد، يوسف اسود خريج القصر العيني، أوغست كوسا خريج فرنسا، الطونيان و صاموئيل خريجي أمريكا، نافع السباعي خريج الأستانة. (الشطى، 1961، ص.32)

-المدرسة الطبية العثمانية بدمشق 1901م:

أصدر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني 1876-1909م فرمانا همايونيا 27- ايلول -1901م، يقضي بإنشاء المدرسة الطبية في دمشق وبعض الكليات الأخرى، وتعد تابعة للجامعة العثمانية في الأستانة وتعلم باللغتين العربية والتركية، وكانت في قصر زيور باشا في الصالحية، ووضع فيها مخابر للعلوم الطبيعية، وعلم الأحياء، وكيمياء، وعقاقير... وغيرها، ومدة الدراسة فيها ست سنوات، وزاد الإقبال على المدرسة الطبية، فحاولت الدولة توسع في الأبنية، إلا أن المدرسة الطبية الفرنسية توقفت في بيروت، مما جعل الحكومة تنقل المدرسة إلى بيروت، استمر المعهد الطبي بالعمل مدة أربع سنين، وأغلق نهائيا سنة 1918م، بعد أن تخرج 262 طالبا، منهم 110 طب و 152 صيدلة، وأعيد افتتاحه سنة 1919م تحت اسم المعهد الطبي العربي باجتماع الطلبة ومفكري البلاد، وحولت التدريس باللغة العربية، وعند دخول المستعمر الفرنسي لدمشق 1920م، حاولوا إلغاء المعهد الطبي بدمشق، وتركيز على الكلية الفرنسية اليسوعية للطب في بيروت، ولكن تمسك القائمين على شؤونها لم يسمحوا واستمرت. (الظلي، 2020، ص.65)

-التطبيب والتبشير في البلاد الإسلامية:

استغل المبشرون مهنة النبيلة الطب، في سبيل التبشير فخرجوا عن كل إنسانية، فالتطبيب يستطيع أن يصل إلى جميع طبقات الناس بواسطة المرض الذين يعالجوه، وحسب قولهم " حيث نجد بشر نجد ألاما، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى التطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير "، وهكذا اتخذ المبشرون الطب حيلة ليقترّبوا من المرضى. (خالدي وفروخ، 1953، ص.59)

و حركة التنصير بدأت تظهر أفعالها في مصر، عقب الحملة الفرنسية على مصر مباشرة، وبدأ نشاط الإرساليات التنصيرية في مصر، مع عهد محمد علي 1805-1848م، ويرجع تأسيس أول المؤسسات التعليمية التنصيرية الأجنبية في مصر الى عام 1840م، إلا أن كنيسة الأخوة المتحدّين، وهي كنيسة ألمانية بدأ نشاطها في عام 1750م بعثت أول منصر لها إلى مصر عام 1752م، الدكتور فريدريك وليم هوكر، استأجر منزلا صغير، وفتح فيه الخدمة الطبية، إذ ان التطبيب من الوسائل الضرورية والهامة للعمل التنصيري، وأخذت الإرساليات تمارس نشاطها التنصيري بحيلة التطبيب في القاهرة. (نعيم، 1988، ص.33)

كان التطبيب المجاني وتقديم العلاج بالمجان من أهم عوامل التبشير في البلاد الإسلامية، كما قاموا بإنشاء مستشفيات، ومراكز طبية في البلاد، وأول من بدءوا في إنشاء العيادات الطبية التبشيرية بتركية أمريكيون في سيواس عام 1859م، فاعتبروا الطب مشروع مسيحيا، ولقد أسس اليسوعيين أكثر أعمالهم في بلاد الشام بل إن مراكز التبشير قد بدأت عندهم، ومنذ عام 1875، وجهت الجمعيات التبشيرية اهتمامه إلى بلاد الشام، وأنشأت مراكز طبية في غزة ونابلس، وغيرها من المدن في بلاد الشام، وأنشأ الانجليز مستشفى تبشيري في السلط، كما أنشأ الدنمركيون مستشفى في النيك، وكانوا يقيمون برحلات منتظمة في القرى، فصحراء سورية والحجاز، كانت مسرحا للمبشرين، وفي المدن كانت ترسل بعثة الراهبات المبشرات إلى الأسواق.

كما انشئوا في بلدة الناصرة في السودان، وكانوا لا يعالجون المريض حتى يركع للمسيح، ويطلب منه أن يشفيه، وكان المبشرون في وادي النيل، ينتقلون في مراكب جعلوها مستوصفات متنقلة على النيل، وكانوا ناس تتنقل من مسافات بعيدة حاملين مرضهم، وينتظرون الطبيب ساعات طويلة، ورغم هذا كانوا لا يعالجون المريض، حتى يكرزوا بإنجيل عليه، فكان هدفهم وصول الى أذان المسلمين وقلوبهم، وليس التطبيب على الإطلاق. (خالدي و فروخ، 1953، ص.61-64)

ولم يكتفوا بإنشاء مراكز صحية بل أنشئوا حتى المدارس، وتنافس كل من الكاثوليكي الفرنسي، و البروتستانتي الانجليزي على من ينشأ أكثر المدارس في البلاد الإسلامية، وفي عام 1840م أعطى محمد علي ولي مصر امتيازات خاصة للمدارس الكاثوليكية الفرنسية، فانتشرت في طول البلاد وعرضها من قنا إلى بور سعيد. (نعيم، 1988، ص34) وعرف لبنان نفس هذا تنافس بين أمريكا وفرنسا، وأنشئت المدارس الطبية التبشيرية في بيروت لعبت دور كبير في التبشير، ونشر المذهبين، وهي:

-الكلية الانجليزية 1866م:

تأسست من قبل أمريكيين جاءوا إلى لبنان بهدف التبشير للمذهب البروتستانتي، ويعد القس البروتستانتي، ويعد القس البروتستانتي الطبيب دانيال بلس، المؤسس الحقيقي لكلية الانجليزية في بيروت لتدريس الطب والصيدلة، والعلوم والقانون، واختار كل من بلس وفان ديك أعضاء الهيئة التدريسية، مكونة من الطبيب الأمريكي كوبرنلس فان ديك، والطبيب يوحنا ورتبات، والشيخ الطبيب اليازجي، لتدريس الطب واللغة العربية، والمدرس أسعد الشدودي لرياضيات، لويس صابونجي للغة التركية واللاتينية، والانجليزية Geon Frizer، و Morisfun للغة الفرنسية، وفي عام 1871م توسعت في أبنيتها، وزاد الحضور والإقبال الطلابي، وحددت الدراسة فيها 4 سنوات، وفي عام 1873 أصبح فيها قسم الصيدلة، ومستشفى جامعي تابع له، وكان الهدف من هذه المدرسة، نشر المذهب البروتستانتي إلى مناطق العربية عدة، مثل مصر ومختلف مناطق بلاد الشام.

وفي عام 1885م، تغيرت لغة التدريس من العربي إلى الانجليزي، وعرفت الكلية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ازدياد عدد الطلاب الوافدين إليها من مختلف البلاد العربية، ومن جميع الطوائف المذهبية والعرقية.

-الكلية الفرنسية للطب والصيدلة في بيروت 1883م:

أدى تأسيس المدرسة الأمريكية الانجليزية في بيروت لنشر الأفكار البروتستانتية، إلى حالة التنافس لدى القائمين على البعثة التبشيرية اليسوعية، وتم طرح فكرة إنشاء مدرسة طبية يسوعية في بيروت، من طرف أربعة منهم، على القنصل الفرنسي العام في سوريا، المقيم في بيروت باتر يموني، وبل فعل تم تأسيسها ب1883م بالتعاون مابين وزارة الثقافة الفرنسية، والبعثة اليسوعية في بيروت، درس بها طبيان فرنسيان يسوعيان "سه نه سي" و "جول فه ري"، والتدريس فيها، كان باللغة الفرنسية، وكانت مدة الدراسة فيها 3 سنوات لتخريج الأطباء المساعدين، ثم أصبحت 4 سنوات، ثم 6 سنوات، وقسمت 1887 إلى مدرسة طب و صيدلة، وبني مشفى أطلق سمي ب مشفى قلب اليسوع، بهدف تطبيق الدروس العملية لطلاب الطب في المدرسة. (الضليلي، 2020، ص ص. 61-63)

ولقد رفضت الدولة العثمانية الاعتراف بشهادات خريجي هذه المدرسة 1887-1898م، باعتبارها غير مؤهلة لممارسة الطب، إلا أن القائمين على المدرسة الفرنسية قاموا بالضغوط على الدولة العثمانية، بالاعتماد على الحكومة الفرنسية في ذلك، وتدخلت الحكومة الفرنسية مستندة على أولوياتها الخاصة، الامتيازات الممنوحة لها سابقا. (Bournaud, 2012, p.141)

ولم تقف الحكومة العثمانية ضد نشاط المبشرين الكاثوليك، إلا عندما كانت الدولة في عز قوتها، فقد عرضت الدولة آنذاك تحويل رعاياها من الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية. (عبد الرحمن، 2014، ص. 740). كما أن تلك الإرساليات، لم تكن تقوم بنشاطها التبشيري في بلاد الإسلامية، بالصورة التي صارت في مرحلة ضعف الدولة العثمانية، حيث زاد نشاط البعثات التبشيرية في مختلف الطوائف، خاصة الكاثوليكية في البلاد الإسلامية خلال القرن التاسع عشر.

الخاتمة:

وفي الأخير نستنتج، أن الطب الإسلامي مر في تاريخه بمرحلة من الإبداع و الازدهار في عصر النهضة الإسلامية، والتي امتدت من أواخر القرن السابع إلى القرن الثالث عشر للميلاد، فظهر أطباء مسلمين مبدعين مبتكرين، تلقوا وبحثوا، وحققوا ونقدوا علوم اليونانيين، واكتشفوا نظريات طبية من خلال التجربة العلمية والملاحظات السريرية في مستشفيات، نظريات لم تعرفها أوروبا حتى بعد قرون، واعتنى الخلفاء في هذا العصر بطب عناية كبيرة، سواء من إنشاء المؤسسات الطبية وتطويرها، أو اهتمام بأصحاب مهن الطبية، الذين يعدون الركن الفعال لقيام هذه المؤسسات، إلا أن الإنتاج العلمي الطبي الإسلامي تباطأ في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، بعد النكبات العظيمة وقضاء على الدولة العباسية، واندثار المعاهد الطبية، ومع وصول القرن السادس عشر، نرى تراجع علميا، وجمود في الإنتاج، رغم وجود بعض المحاولات في إنشاء مؤسسات طبية، إلا إن الإنتاج الطب الإسلامي لم يتقدم، مما أدى إلى اللجوء للطب الأوروبي الذي استغله الغربيين، لتحقيق أهداف دينية كالتبشير "التنصير"، أو لأهداف سياسية، لتثبت أوروبا أقدامها في البلاد إسلامية خلال ضعف الدولة العثمانية.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس (1996). كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء. ج1. القاهرة: دار المعارف.
- السرغاني، راغب (2009). قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية. ط1. لبنان: دار الكتاب.
- الشطري، شوكت (1961). تاريخ الطب عند العرب في القرون الأخيرة الطب في سوريا. دمشق: مطبعة الجامعة.
- الضللي، رامي (2020). تاريخ الطب وأدابه. دمشق: جامعة الشام.
- العقاد، عباس محمود (2005). أثر العرب في الحضارة الإسلامية. ط2. مصر: نهضة مصر.
- العقود، زكية بالناصر (2016). المدارس الطبية في الحضارة الإسلامية من 9-1 هـ/15-7م. مجلة العلوم والدراسات الإنسانية. جامعة بن غازي، (10)، ص-ص 1-16.
- الأندلسي، قاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد. (1912). طبقات الأمم، تقديم الأب لويس شيخو اليسوعي. بيروت: المطبعة كاثوليكية للآباء اليسوعيين.
- المازني، إسلام (2006). روائع تاريخ الطب والأطباء موسوعة للطب في عصر ازدهار حضارة الإسلام. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية.
- المربع، عبد الكافي توفيق (2012). أبقرط الطبيب اليوناني الكوسي مولدا الحمصي مسكنا الدمشقي نزila ومنجعا ومعلما للاراسي وفاة الطبيب قدوة ورئيسا. مجلة مجمع دمشق. دمشق، ص-ص 1-16.
- النجار، عامر (1994). في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية. ط2. القاهرة: دار المعارف.
- الهوراي، أحمد إبراهيم (2005). من تاريخ الطب الإسلامي. مصر: عين للدراسات والبحوث الاجتماعية.
- الوزي هاشم، الشابندر عمر خالد (1939). تاريخ الطب في العراق مع نشوء وتقدم الكلية الطبية الملكية العراقية. بغداد: مطبعة الحكومة.
- بوحجرة، عثمان (2015). الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م. رسالة لنيل شهادة ماجستير، جامعة وهران.
- خالدي، مصطفى، فروخ، عمر (1953). التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
- شحادة، محمد كمال (2000). تاريخ التعليم الطبي في البلاد العربية. سورية: مديرية كتب ومطبوعات الجامعة حلب.
- عبد الرحمن، أحمد عوف (2008). أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي. قطر: مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- عبد الرحمن، هياجنة إيمان (2014). التبشير الفرنسي الكاثوليكي في ولاية الأناضول في القرن التاسع عشر النشاط التعليمي.
- مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية. الجامعة الأردنية، (41)، ص-ص 727-747.
- عيسى بك، أحمد (1981). تاريخ البيمارستانات في الإسلام. لبنان: دار الرائد العربي.
- نعيم، خالد محمد (1988). الجذور التاريخية للإرساليات التنصيرية الأجنبية في مصر. القاهرة: كتاب المختار.
- هونكه، زيغريد (1993). شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبا. ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي. ط8. بيروت: دار الجيل.
- Afife, Öztekin-Mat (2012). Histoire de la pharmacie turque. Revue d'histoire de la pharmacie , (373), pp 17-42.
- Bournaud , Philippe (2012). Médecine occidentale et définition des orientaux au proche –orient a la fin de l'Epoque Ottomane. Revue Histoire et missions chrétiennes. Université Lyon , (n°22) , pp 135-156.
- Günerngun ,Feza (2004). Spiridon Mavroyeni pacha (1817,1902) et sa contribution à la diffusion des sciences Médicales dans l'Empire Ottoman. osmanli Bilimi Araştımlari , (v 1) , pp 37-63.
- Michèle ,Nicolas (2010). Palais de l'Etat Ottoman Dramur rengin ,Médecine et pharmacie dans les Palais de l'Etat Ottoman. Revue d'histoire de la pharmacie , (365) , pp 117-119.